شبتاى تسفى

اخترقت أشعة الشمس مياه بحر إيجة لتغرق بأشعتها الذهبية «سميرنا» المدينة التى ترقد بثقة امرأة باهرة الجمال على شاطئ البحر.. لتنسل بخفة بين أشجار الصنوبر وغابات الزيتون لتقع على أعشاش طيور الفلامنكو لتواصل تسللها بين منازل المدينة وأحيائها حتى تصل إلى أسواقها المتخمة ببضائع وذخائر من صنع أهل البلاد.. لتتجاور مع بضائع البلدان الأخرى التى حملتها سفن تجار أبحروا عبر المحيطات والبحار..

أطلقت أشعة الشمس قوى سكان المدينة.. ومنحتهم إشارة بدء يوم جديد ملىء بالصخب والحركة والضوضاء.. والعراك أحيانا والجدل الذى لاينقطع فى أسواقها وبين تجارها وزبائنهم.. وأبنائها الذين يتباهون بجمال مدينتهم المليئة بالحياة حتى أنهم اعترافا منهم بجمالها الباهر نقش أهلها على عملتهم عبارة تقول «سميرنا أجمل وأكبر مدن آسيا».

حمل أصحاب الدكاكين مفاتيحهم وانطلقوا إلى أسواقهم مخترقين أحياء المدينة العثمانية التى أصبحت ثالث أكبر مدينة فى الدولة العثمانية التى يجلس على عرشها السلطان محمد خان الرابع.. فى منتصف القرن السابع عشر كان ضجيج الأسواق عنوانا على قدرة أهلها على تحمل لهجات معظم أبناء الأرض التى تنطق بها ألسنة من يعيشون فيها من يونانيين وأرمن وإيطاليين وفرنسيين ويهود ومسيحيين تابعين لبابا روما وآخرين من أتباع الكنيسة الأرثوذكسية.. والذين ينظرون بمزيد من التقديس إلى «سميرنا» التى بها واحدة من الكنائس السبع التى جاء ذكرها فى رسائل يوحنا الرسول الذى عانى بشدة وقاوم عبادة الأوثان فما كان من الإمبراطور الرومانى الذى أطلق على نفسه لقب «الله الرب»

إلا أن نفى يوحنا الرسول إلى جزيرة «بطمس» الموحشة فى البحر الأبيض المتوسط وفيها جاء عيسى عليه السلام إلى يوحنا وأمره أن يكتب الرسائل إلى الكنائس السبع طالبا من أهلها التمسك بالإيمان وكانت أسواق المدينة تحمل الكثير من القداسة فى قلوب أبنائها والوافدين عليها وإن كانت القداسة التى تعلنها المساجد عبر انطلاق الأذان مجلجلا مرددا كلمات الحث على الصلاة لم تثن تجار السجاد الحرير عن جدالهم مع زبائنهم مقسمين بأغلظ الأيمان على أن مايبيعونه ليس مجرد سجاد يدوى وإنما هو قطع فنية نادرة لامثيل لها.. جمعت خيوطها ولونت بأنامل أطفال لم يبلغوا الحلم ولم يتعدوا العاشرة من العمر.. ولا يجاريهم فى المساومة وعلو الصوت وإطلاق المزيد من اللعنات على أنفسهم إن كانوا كاذبين إلا تجار الزبيب الذين يقسمون بأنه لايوجد مثيل فى العالم كله لبضاعتهم التى احتفظوا بسر صنعة تحول العنب إلى زبيب لأنفسهم.. وبجوارهم كان ضجيج تجار التحف والزجاج الملون النادر المرسوم بنقوش غاية من الدقة والجمال زاد قيمتها ماء الذهب ومهارة الفنان الذى استخدم ريشة رفيعة وأقلاما خاصة للحفر على البللور.. وكان صياح التجار مليئا بالرعب خوفا على تهشم بضاعتهم الغالية محذرين البائعين بضرورة التعامل بحرص معها.

وفجأة صمت الجميع واختفت الضوضاء وكأنها لم تكن موجودة أبدا.. واتجهت العيون والأنظار محدقة بدهشة نحو صوت ترنيمة أغنية اختلطت كلماتها مابين الإسبانية والإيطالية والعبرية غطى صوت المغنى الهادئ على صخب السوق والشارع وهو ينطلق بخطوات هادئة تسبقه رائحة عطرية نفاذة تعلن على قدومه على بعد عدة أمتار.. تعلقت العيون كلها بالرجل شديد الأناقة الذى يتصدر الموكب وهو مستمر بالغناء ومن حوله وخلفه حشد هائل من الرجال الذين كان معظمهم من أبناء الطائفة اليهودية وكان من بينهم شيوخ يرتدون زى الحاخامات وآخرون لم يسيطروا على آهاتهم وبكائهم بين كل مقطع وآخر وخلف كل هؤلاء كانت النساء يطلقن صيحات مكتومة وأصوات بكائهن ترتفع بين الحين والآخر.. استمر الموكب.. ولم يستهجن التجار الموكب ولا صاحبه بعد أن أصبح له صيت هائل فى

المدينة وبعد أن بدأت فى الأيام الأولى لعام ١٦٦٦م توافد مئات من المريدين لرؤية «شبتاى تسفى» ابن مدينتهم ابن التاجر والسمسار اليهودى "موردخاى سوى" المعروف بين التجار الأتراك باسم «قرة منتشة» الذى أعلن أنه هو «الماشيح» بالعبرية الذى جاء ليعلن نهاية الزمان.. وظهور المسيح المخلص الذى سيتبعه يهود العالم كله بعد أن أوكل إليه الله مهمة إنهاء عذاب اليهود وتشتتهم ليجمعهم معا مرة أخرى ليعودوا ويمتلكوا صهيون أرض الميعاد المفقودة ويعيدوا بناء الهيكل وينهى هو ومن يتبعه أعداء اسرائيل ليؤسس الفردوس الأرضى الذى سيدوم ألف عام بعد أن يفنى العالم كله ويهلك ولا يتبقى فيه سوى بنى إسرائيل فقط..

تجول «شبتاى» فى "سميرنا" وهو يستخرج أحلام وأوهام الخلاص من عقول وقلوب من ينتظرونه بشغف بالغ وكان أكثر من آمن به هم أبناء ديانته من اليهود وإن كان المسلمون والمسيحيون بكل طوائفهم قد نظروا إليه بحذر وقلق وخوف من تحقق ما ادعاه فالفكرة ليست بعيدة عن العقل الإنسانى الذى يبحث عن الخلاص ومن يقوده إليه فإحساس النجاة من المخاطر وتخطى عقبات الحياة بكل آثامها وذنوبها التى سكنت داخل نفس الإنسان ليحاول دائما النجاة بأفعاله أمام الخالق الذى آمن به وأدرك أنه لن يتركه يقع فريسة لهوى نفسه وخطاياه ونجد أن الكاتب والمفكر الراحل عباس العقاد قد عبر عن فكر الخلاص لدى الإنسان قائلا «يدل علم المقارنة بين الأديان على شيوع الإيمان بالخلاص وظهور الرسول المخلص فى زمن مقبل».

ففكرة الخلاص توجد فى كل الأديان السماوية منها والوضعية فالمسلم يجد خلاصه فى التوبة والتضرع إلى الله والاقتداء بكتابه الكريم وسُنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقد يصبح فكر الخلاص لدى البعض مرتبطا بالتوسل بالأولياء والصالحين والمداومة على زيارتهم والتقرب إليهم حتى ينالوا الخلاص بمفهوم النجاة من ذنوب الدنيا وهو مايعد أمرا بعيدا عن صحيح الدين.

وهو الأمر نفسه الذى نجده لدى معظم فرق الشيعة من انتظارهم المهدى المنتظر الذى سيحمل لهم الخلاص ويعيد إليهم الحق وينقذ العالم من الظلم

ويطهره من الفساد ويتم هذا بشكل أسطورى تماما فالمهدى المنتظر سيخرج من نفس السرداب الذى اختفى بداخله فى سامراء ليتجمع أتباعه من حوله.. ويتعدد فكر الخلاص فى الأديان الوضعية ليتوافق مع احتياجات الإنسان الذى يبحث عن إله يخلصه من آثامه وذنوبه وخطاياه التى ارتكبها فى الدنيا عبر إرسال مخلص له يحمله جزءا من حالة الظلم والعدوان الذى عانى منه ويجد لديه إجابات لوقوع الكوارث والحروب والدمار والمظالم التى تجتاح العالم.. فنجد أن البابليين يؤمنون بعودة مردوخ إلى الأرض لقمع الفتنة وتطهير الأرض من الفساد وآمن المجوس بظهور رسول مرسل من إله النور كل ألف عام يظهر فى هيئة إنسان ويحمل الخلاص الإلهى.

❖ ولم يكن ادعاء «شبتاى» بأنه مخلص اليهود فكرة مبتدعة وبعيدة عن العقيدة اليهودية التى تجذرت لدى بعض الفرق نتيجة لظروف تاريخية وأحداث كثيرة ومتعددة مر بها اليهود عبر فترات زمنية طويلة خلفت لديهم عقيدة ظهور المخلص» فرغم ظهور «شبتاى» وإطلاق دعوته فى عام ١٦٦٦ إلا أن التمهيد لتلك الدعوة كان قد بدأ منذ سنوات طويلة قبل ميلاد المسيح بدأت تحديدا من بعد وفاة النبى سليمان عليه السلام وانقسام مملكته مابين رحبعام ابنه الذى سيطر على مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم ولقد ملك عليها سنة ٩٣٥ ق.م وانحاز إلى ملكه سبط يهوذا وسبط بنيامين أما المملكة الثانية فقد ملك عليها «يربعام بن نباط» واستقل ببقية الأسباط العشرة وأسس مملكة إسرائيل فى الشمال وعاصمتها نابلس وكان أول ماقام به يربعام هو صنع عجلين من الذهب وقال لقومه «هو ذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر..» ووضع كلا منهما فى معبد خاص به..

وبعد تراجع جزء كبير من بنى إسرائيل عن عبادة الله الواحد الأحد. دبت الخلافات مابين المملكتين واشتعلت الحروب بينهما واستعانا فى حربهما بجيرانهما ويتحدث سفر الملوك الأول والثانى وسفر الأيام بتوسع واستفاضة عن المعارك التى لم تنقطع تقريبا بين دولتى اليهود من جانب وبين الدولتين وجيرانهما

من جانب آخر.. فلم يهنأ بنو إسرائيل أبدا فى الأرض التى سكنوها بعد أن عادوا إلى عبادة العجل والأوثان ولم تنفع صيحات الأنبياء الذين توالوا على بنى إسرائيل لإنقاذهم من غضب الله ومن هجمات الملوك الأقوياء فقد كانت المملكتان الصغيرتان تقعان تحت أنظار ملوك الإمبراطوريات التى كانت تتصارع وقتها على امتلاك الأرض فسقطت مملكة إسرائيل التى أسسها يربعام على يد الملك الأشورى «سرجون» عام ٧٢٢ق.م وتأكيدا لانتصاره جمع اليهود واقتادهم سبايا وكان عددهم حوالى ٢٧ ألف يهودى.. ولم يكن حال مملكة يهوذا أفضل من جارتها ففى عام ٦٠٨ ق.م زحف «نخاو» الفرعون المصرى إلى مملكة يهوذا فاحتلها وأخضع ملك اليهود لسلطته.. ودفعه انتصاره إلى الزحف إلى مملكة إسرائيل المجاورة والاستيلاء عليها من الآشوريين مما أثار غضب «نبوخذ نصر» ملك بابل فزحف بجيش هائل إلى فلسطين وهزم فرعون مصر واستعاد مملكتى يهوذا وإسرائيل وسير معظم سكان المدينتين وأرسلهم إلى بابل بعد أن أحرق معابد بنى إسرائيل ومنازلهم وأصبح اليهود عبيدا له.

وفى السبى عرف اليهود ذل العبودية.. لفترة حتى استطاع معظمهم التأقلم مع حياة أهل بابل وأسلوب عيشهم وإن كانت فكرة خلاصهم والعودة إلى مملكتهم القديمة لم تفارق مخيلة البعض واستمر اليهود تحت سيطرة البابليين حتى بزغ نجم إمبراطور جديد يمتلك القوة والسطوة والرغبة فى فرض نفوذه على باقى ممالك الأرض.. كان كورش مؤسس الدولة الفارسية هو إمبراطور الأرض القوى الذى سيطر على مملكتى يهوذا وإسرائيل بعد أن استولى على بابل وسمح لليهود بالعودة إلى الأرض القديمة.. ولم تقابل هذه الفكرة بترحاب من كل اليهود.. فمعظمهم كان قد ألف الحياة البابلية .. وقبل عدد قليل بالعودة.

عاد من عاد منهم وهو يحمل بقايا من العقيدة اليهودية التى اختلطت بديانات أهل بابل وآشور واتسمت عقيدتهم بكثير من أفكار الديانة الثنوية التى كانت تعتنق إلهين واحدا للنور وآخر للظلام مع فكر الحلول والتناسخ .. وما إن كادوا يستقرون مرة أخرى حتى دخل الإسكندر الأكبر فلسطين فاتحا وغازيا واحتل القدس عام

٣٣٢ ق.م وبعد فترة من الاضطرابات وقعت البلاد تحت حكم الإمبراطورية الرومانية.

وكان من الطبيعى أن يحلم اليهود فى فترات السبى والعبودية والحروب المتتالية بمن يأتى ويخلصهم ويعيد إليهم أمجاد المعجزات التى جرت على يد نبى الله موسى عليه السلام لإنقاذهم مما ولد لديهم إحساسا خاصا بأنهم المفضلون لدى الإله أو كما قالوا عن أنفسهم بأنهم شعب الله المختار.. الذى لابد أن تكون له الأفضلية على الشعوب الأخرى ومن أجل أن يعودوا لمكانتهم التى تصوروها عن أنفسهم فلابد لهم من مخلص ومن هنا كانت نشأة عقيدة الخلاص لديهم وفى هذا الأمر يقول الكاتب عباس محمود العقاد فى كتابه «الله» «ثبتت فكرة المسيح المنتظر فى عقائد بنى إسرائيل بعد زوال ملكهم وانتقالهم إلى الأسر البابلى» فقد أصبح انتظارهم للمخلص بمثابة عقيدة ارتبطت بعذابهم وهوانهم ورغبتهم أيضا فى السيادة والقوة والسلطة التى عانوا وبشدة من كل الملوك الذين امتلكوا مفردات القوة وأخضعوهم لسلطتهم وحكمهم وحولوهم إلى عبيد.. وكانت فكرتهم عن المخلص فكرة مادية بحتة ككل الأفكار التى يؤمن بها اليهود، فمخلصهم سيمنحهم القوة والسيادة على الأرض ويجعلهم يملكونها ويقيمون فيها جنتهم الأرضية.. فالمخلص لديهم خاص بهم سيهبهم المجد والقوة والسلطة وسيبنى لهم دولة إسرائيل التى سيجتمع بها شعب الله المختار.. ومما ساهم فى تأكيد هذه الفكرة لديهم ماتبقى لديهم من توراة موسى عليه السلام والتى كانت تبشر ببعث نبى منتظر.. حوله اليهود ليصبح مخلصا خاصا بهم وحدهم ومن دون البشر ولذلك عندما جاء عيسى عليه السلام.. لم يعتبروه نبيا ولا مخلصا وحاربوه بشدة وكان همهم الأول التخلص منه فدعوته تعارضت مع أحلامهم وآمالهم فوعوده بالجزاء فى الدار الآخرة لم تناسبهم وأصبح المسيح لديهم هو فى كلمة «ماشيح» العبرية التى تعنى المسيح المخلص وابن الإنسان «أحد أسمائه لأنه سيظهر فى صورة إنسان خارق له طبيعة وخواص إلهية من نسل يهودى خالص منتمٍ إلى داود.. ولذلك لم يتوقف اليهود أبدا عن الحلم بظهور ذلك المخلص حتى أنهم ظنوا

أن الملك كورش الفارسى المجوسى هو المسيح المخلص أو «الماشيح» بعد أن هزم البابليين وسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين فهو كان فى نظرهم الأداة التى أرسلها يهوه لنصرة اليهود فكان هو أول ماشيح لديهم وعندما لم يستكمل مهمته أدركوا أنهم مازالوا فى انتظار ماشيحهم المزعوم وبدأ ظهور سلسلة طويلة من الماشيحيين سبقت ظهور «شبتاى» واستمرت بعده أيضا ولكنه كان هو صاحب البصمة الواضحة فى فكر المشيحانية والذى صاحب ظهوره كثير من التغيرات والتطورات على مستوى العالم كله..

ظهر أول «ماشيح» فى عام ٤٤ميلادية وهو مايعنى مرور سنوات معدودة على رفع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.. كانت الأجواء التى شهدت دعوة عيسى عليه السلام مازالت تسيطر على أهل فلسطين مابين ولادته ودعوته ومعجزاته التى وجهت لإنقاذ بنى إسرائيل من الضلال وهو الأمر الذى لم يجد قبولا لدى اليهود الذين كانوا أول من حارب عيسى عليه السلام بعد أن تأكدوا بأنه لن يحقق لهم طموحاتهم فى تأسيس دولتهم التى تسعى لسيادة العالم وتأكيدا على عقيدة أنهم هم شعب الله المختار.. فما كان من «ثيودوس» الفلسطينى إلا أن ادعى النبوة والقدرة على الإتيان بالمعجزات وأعلن أنه الماشيح المخلص» الذى سيقود اليهود للحرية وسيقيم لهم دولتهم.. ولاقت دعوته رواجا بين قومه حتى طلب منهم أن يحملوا أمتعتهم ويتبعوه إلى نهر الأردن ليعبروه من خلفه بعد أن يشق لهم طريقا به ليكرر معجزة موسى عليه السلام أثناء خروجه من مصر مع بنى إسرائيل.. وبالفعل تبعه أكثر من ٤٠٠ يهودى آمنوا بدعوته وبقدرته على الإتيان بالمعجزات.. ووصلت أخبار «ثيودوس» وماينتويه إلى الحاكم الرومانى «كاسبيوس» الذى أمر رجاله بتعقب الماشيح المزيف والقضاء على أتباعه ونجح جنود الرومان فى قتل وأسر العديد منهم وكان من بينهم «ثيودوس» نفسه.. وعندما علم الحاكم بأسره أمر بقتله.. فقطع الجنود رأسه وحملوها إليه فى أورشليم.. وتم القضاء على «ثيودوس» وأتباعه وانتهت دعوته بمقتلهم وتشريدهم.. وفتحت دعوة «ثيودوس» الباب أمام ظهور المدعين من بعده.. فبعد عدة سنوات

أعلن يهودى مقيم فى مصر بأنه الماشيح.. ونشط فى دعوته حتى تبعه الآلاف فأمرهم أن يتبعوه إلى جبل الزيتون فى أورشليم.. سار الركب لتتحقق نبوءة الماشيح التى بشرهم بها فبمجرد دخولهم إلى أورشليم ستنهار المدينة وتتحطم منازل المستعمرين الرومان ومعابدهم وسيلقى الجنود بأنفسهم تحت قدميه لتزول دولة الرومان وتعود المدينة المقدسة إلى اليهود ويتربع هو على عرش المملكة الأرضية ليحكم شعبا قويا مختارا من الله وانهارت أحلام الماشيح وأتباعه أمام قوة الجيش الرومانى الذى قضى على أتباع الماشيح المزيف الذى هرب بعد أن رأى مقتل أتباعه.

ولم ينته حلم اليهود أبدا فى ظهور الماشيح المخلص أو المنقذ الذى كان ظهوره عقيدة تسيطر على فكر كل يهودى حتى أن الحاخامات كانوا يتلون الصلوات فى كل ليلة منتظرين ظهوره واستولت تلك الرغبة على عقل الحاخام «عقيبا» حتى أنه كان يبحث عن الماشيح طوال الوقت حتى وجده فى الثائر «باركوخبا» الذى كان يقود تمردا وثورة ضد الرومان فى عام ١٣٢م وجد الحاخام كل صفات المخلص فى ذلك البطل الذى كان سيأتى على يديه الخلاص وينهى حكم الرومان ويعيد إلى اليهود دولتهم ويحررهم من نيران السبى والذل والعبودية التى عاشوا فيها سنوات طويلة دفعت الكثير منهم إلى الهجرة والرحيل بعيدا عن فلسطين.. وتملكت الحاخام فكرة الدعوة إلى «باركوخبا» الذى كان منشغلا بحربه ضد الرومان.. فتولى الحاخام أمر الدعوة وكان يجوب القرى اليهودية معلنا عن ظهور المخلص الموعود ويحشد الأتباع له.. واصطدمت أحلام الحاخام بعقبة دينية كادت تهدم دعواته كلها «فباركوخبا» لم يكن من نسل داود الذى سينحدر منه الماشيح.. ووجد الحاخام الحل فى العبارة الواردة فى سفر العدد «إن كوكبا سيخرج من يعقوب» وفسرها بأنها ترمز إلى «باركوخبا» فكلمة كوخب فى العبرية تعنى كوكب والعبارة تشير إليه وتسميه ابن الكوكب.. واستمرت انتصارات «باركوخبا» على الرومان وازدادت معها قناعة الحاخام بأنه الماشيح المخلص رغم المعارضة التى وجدها من بعض الحاخامات الذين لم يكونوا يرون فى «باركوخبا» أكثر من بطل

ومحارب للرومان حتى إن الحاخام «يوحنا بن تورتا» كان من أشد المعارضين للحاخام «عقيبا» وكان ينتهز الفرصة ليسخر منه ومن ادعاءاته قائلا له «سينبت خداك حشيشا والمسيح ابن داود لم يظهر بعد» فى إشارة منه لكذب ادعاء «عقيبا».. وتحققت رؤية الحاخام يوحنا وهزم «باركوخبا» بعد أن سقط العديد من اليهود قتلى وجرحى وازداد التنكيل باليهود حتى أنهم منعوا من دخول أورشليم عقابا لهم على اتباع ومساندة «باركوخبا» الذى تحول اسمه بعد هزيمته إلى «بأركوزبا» أى «ابن الكذاب».. ثلاث سنوات كاملة استمرت فيها دعوة الحاخام الذى رأى فى الثائر بأنه هو الماشيح المخلص لبنى إسرائيل انتهى فيها «باركوخبا» ولم تنته أسطورة ظهور الماشيح القوى المرسل الذى سيحرر بنى إسرائيل وكانت تسيطر على الكثير منهم ماتم حفظه من قصة خروج بنى إسرائيل من مصر بقيادة نبى الله موسى ومعجزته الهائلة بشق البحر.. كانت الذكرى والمعجزة تسيطر على عقولهم ولأنها حدثت فلا يوجد مايمنع تكرارها من جديد وهو ماقام به يهودى كان يعيش فى جزيرة كريت عام ٤٤٨م.. ادعى أنه موسى عليه السلام وأنه عاد ليخلص اليهود من الذل والعذاب ويعيد إليهم مكانتهم كأبناء الله المختارين.. لم يقل إنه الماشيح ولكنه قال إنه موسى عاد من جديد وهو مؤشر على تأثر الكثير من اليهود بمعتقد «الحلول» الذى تأثروا به من فترات السبى البابلى بعد أن تعرفوا على معتقدات وعقائد الشعوب التى جاوروها والتى كانت تؤمن بعقيدة الحلول والتناسخ من حلول الإله فى الإنسان وفى الطبيعة.. ولذلك عندما أعلن «الكريتى» بأنه موسى صدقه الكثيرون واتبعوه.. ولأنه موسى فلابد أن يأتى بمثل ما أتى به من قبل وتحقيق معجزة شق البحر من جديد.. ولأن العبور كان يعنى التطلع إلى الحرية والتخلص من الذل والعبودية وهى نفس الظروف والأجواء التى عاش فيها اليهود الذين خرجوا من فلسطين وتفرقوا فى كثير من البلاد.. استكمل الكريتى دعوته وأعلن لأتباعه بأنه مرسل من السماء وأن آلام اليهود ومتاعبهم ستختفى إلى الأبد وسيعبر بهم البحر بعد أن يشقه مثلما فعل موسى من قبل ليصل بهم إلى فلسطين ويحرر اليهود ويجمعهم من الشتات ويقيم الملك

المنتظر ليحكم اليهود العالم كله.. وحدد الموعد لأتباعه الذين وافوه فى اليوم الموعود.. وسار أمامهم منطلقا إلى شاطئ البحر وعندما وصله توقف أمامه.. ولف الجميع صمت عظيم لم يقطعه سوى صوت أمواج البحر وانطلقت الكلمات من فم «الكريتى» لتأمر البحر بأن ينفلق حتى يعبر اليهود لإقامة مملكتهم فى فلسطين.. ولم تلتفت أمواج البحر لنداءات المدعى واستمر الماء فى جريانه كالمعتاد.. ولم ييأس «الكريتى» فأمر أتباعه بأن يقفزوا إلى البحر.. فصدقه البعض.. وقفزوا لتبتلعهم مياه البحر العميقة وفر آخرون بعد أن شاهدوا بأعينهم ماحدث.. أما الماشيح الكذاب.. فقد تسلل بهدوء واختفى ولم يظهر مرة ثانية.

ولم يختف مدعو الماشيحية باختفاء «الكريتى» وإنما استمر ظهورهم بأشكال وطرق مختلفة فمنهم من ادعى أنه تجسيد لموسى عليه السلام ومنهم من ادعى أنه الماسّيح نفسه وبعضهم قال إنه الرسول المبشر بقرب ظهور الماشيح.

وكانت حالة «سيفروس» اليهودى من أعجب الحالات.. فقد ادعى أنه الماشّيح المخلص وعزف على أوتار النصرة اليهودية ورغبتهم العارمة فى تأسيس ملكهم على أرض أورشليم ولكن كانت أهدافه مختلفة تماما عمن سبقوه.. فلقد استغل «سيفروس» ذلك الهوس من أجل تكوين ثروة هائلة.. أى أنه كان نصابا فبعد أن فتحت القدس على يد عمر بن الخطاب.. أصبحت المدينة تحت السيطرة الإسلامية مما يعنى عدم تحقق الحلم المنتظر لدى اليهود رغم حالة الهدوء والاستقرار التى عاشوا فيها فى ظل الحكم الاسلامى.

وأصبح طرد المسلمين من القدس هو هدف الماشيح المخلص.. وكانت تلك هى دعوة «سفيروس» من أهل الشام.. الذى أعلن أنه الماشيح المنتظر وأن على اليهود والمسيحيين أيضا أن يجمعوا من أجله الأموال ليستعين بها على طرد المسلمين من الأرض المقدسة وإقامة دولة اليهود المنتظرة.

واستفاد «سفيروس» من المميزات التى قد يتحلى بها الماشيح المخلص من أنه قد يخرج على شريعة اليهود ويبدل فيها كيفما شاء إذا اضطرته الظروف لذلك.. فأوقف العمل بكثير من أحكام الدين اليهودى فيما يتعلق بالزواج والطلاق وأحل

المحرم من الطعام فى شريعة اليهود وزاد عليها بأن أجاز عدم الصلاة له ولأتباعه.. وانتشرت دعوته فى الشام والعراق حتى بلغ عدد أتباعه الآلاف ووصل أمره إلى الخليفة الأموى هشام بن عبدالملك الذى أرسل فى استدعائه للتحقق من أمره وما يدعيه من تجهيز جيش لتحرير القدس من المسلمين وأمام سطوة الخليفة اعترف «سفيروس» بأنه مجرد مدع استغل فكرة «الماشيح» للاستيلاء على أموال اليهود والسخرية منهم واستغلالهم لتحقيق ثروة.. وبعد أن استمع إليه الخليفة أحال أمره إلى أبناء طائفته وقال البعض إنه أمر بقتله وكان التخص منه حلا جزئيا فهو كان قد نجح فى جمع عدد كبير من الأتباع المؤمنين بأفكاره وتولى الحاخام «الجاؤون نطروئاى» هذه القضية وكان يرى أنه لابد من هداية من ضل من بنى اليهود إلى حقيقة الدين ومساعدتهم بدلا من طردهم حتى أنه قال: «مع أن هؤلاء الأشرار الذين ضلوا الطريق قد أنكروا كلام الحاخاميين وخالفوا أحكام المناسبات الدينية والوصايا ونجسوا أنفسهم بأكلهم لحم الميتة فلابد من استرجاعهم إلى اليهودية بدلا من طردهم منها وأما ماقاموا به من مخالفات كأكل غير المذبوح وعدم التزامهم بعقد الزواج فجزاؤهم أن يجلدوا أمام المحكمة الدينية وتفرض عليهم الغرامات.. كل حسب عمله الشرير.. وأن يعاقبوا بوقوفهم فى الكنيس ويتعهدوا بعدم الرجوع إلى فعلتهم.. وحينئذ يجب أن يقبلوا ولا يرفضوا».

وأتت الوسائل العقابية التى فرضت على أتباع سفيروس نتائجها فرجع معظم من اتبعوه عن أفكاره.

❖ ولم تضع النهايات المأساوية لمن ادعوا بأنهم «الماشيح» نهاية لذلك المعتقد الراسخ لدى اليهود بل ازداد التمسك به مع مرور السنوات.. وفى كل مرة كان يظهر فيها ماشيح كان يجد من يصدقه ويتبعه.. مهما كان الفارق الزمنى بسيطا بين كل مدع وآخر.. فبعد نهاية سفيروس.. بالكاد مرت سنوات معدودة وبالتحديد مع نهاية الدولة الأموية وبداية ظهور الخلافة العباسية ظهر مدع جديد اتخذ له أسلوبا جديدا وادعاء مختلفا وإن كان فى النهاية مرتبطا بالفكر المشيحانى .. ظهر إسحاق بن يعقوب أو أبو عيسى الأصفهانى الخياط الأصلى الذى لايعرف

القراءة والكتابة ومع ذلك نسب إليه تأليف عدة كتب.. كان لأبوعيسى أسلوب مختلف فهو لم يدع أنه الماشيح وإنما ادعى أنه خاتم الرسل والمبشر بظهور الماشيح المخلص ونشر دعوته مابين اليهود وأعلن أن للماشيح خمسة رُسل يأتون قبله ويبشرون بمقدمه وظهر منهم موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم جميعا وأنه هو خاتم المرسلين الماشيح ابن يوسف الممهد لظهور «الماشيح ابن داود» ولم ينس أن ينسب لنفسه رغم أنه خاتم المرسلين إلا أنه أفضل منهم جميعا.. وأكد على ما ادعاه بأن هناك وحيا يأتيه وأن الله كلمه وأمره بأن يسعى لتخليص اليهود من بين أيادى الحكام الظالمين.

ولأنه رسول يوحى إليه فلابد أن يأتى بجديد ويغير ما استقر عليه اليهود فبدأ بتحريم الطلاق على اليهود ويبدو بهذا التحريم التأثير الواضح للمسيحية على أفكاره وفيما بعد سيبدو تأثير الشيعة أكثر وضوحا عليه وخاصة فيما يتعلق بنهايته.. وحرم أبوعيسى على اليهود تناول اللحوم وشرب الخمر وأوجب عليهم سبع صلوات مستندا إلى ذلك لما جاء فى المزمور ١١٩/١٦٤ «سبع مرات فى النهار سبحتك على إحكام برك».

ولم تتوقف ادعاءات أبوعيسى عن تحقيق حلم اليهود بعودة المخلص وإنما تعدى الأمر إلى مواجهة مسلحة مع الدولة.. ففى تلك الفترة التى كانت تعد مفصلا زمنيا هاما مليئا بالأحداث المتلاحقة التى شهدت سقوط الدولة الأموية واستيلاء العباسيين على الحكم مع ما صاحبها من اضطرابات شديدة وحروب متعددة وظهور قوى وغياب أخرى.. نشط الأصفهانى ليجد لنفسه ولقومه مكانة بحربهم ومقاومتهم لرموز الدولة وقتها كان يعنى بشكل واضح الرغبة فى التمرد على نظام الحكم ومحاولة إقامة حكم خاص لليهود.. وساند يهود فارس والعراق والشام دعوة الأصفهانى مما مكنه من الاستمرار فى ثورته وتمرده عدة سنوات انتقل خلالها فى عدة مدن إسلامية حتى انتهى به الأمر فى مدينة «الرى» وفيها زاد هجوم الجيش الإسلامى عليه حتى أنه ابتكر طريقة غريبة للحفاظ على أتباعه عندما رسم لهم على الأرض خطا أحاط بهم وطلب منهم أن يحافظوا على البقاء

بداخله حتى لاينالهم أذى جنود المسلمين فلن يستطيعوا أن يقتحموه.. ثم خرج هو من الخط المزعوم وقاتل بضراوة واستطاع أن يقتل عددا من الجنود ثم وقع قتيلا وهزم أصحابه وتفرقوا مابين قتلى وأسرى.. ولم تنته أسطورته بمقتله .. فسرعان ما أشاع أتباعه بأنه لم يقتل وإنما ذهب إلى أبناء موسى فى الصحراء لينشر دعوته بينهم.. وظلت معتقدات وأفكار الأصفهانى منتشرة بين أتباعه الذين لقبوا «بالعيسوية» حتى قال بعض منهم بأنه دخل إلى كهف واختفى بداخله منتظرا سنوات حتى يعاود الظهور مرة أخرى فى الوقت المناسب.. ويبدو واضحا أن أتباعه مع الوقت اقتبسوا فكر الغياب أو الاختفاء من الشيعة الذين قالوا باختفاء محمد المهدى المنتظر الإمام الثانى عشر داخل سرداب فى دار أبيه «بسر من رأى» حتى عودته من جديد لتحقيق العدل والقضاء على الظلم ونصرة الشيعة خاصة أن سنوات قليلة كانت تفصل غياب الأصفهانى فى عام ٧٥٥م عن غياب المهدى المنتظر بعده بسنوات معدودة.

عاش أتباع الأصفهانى وهم مؤمنون بما جاء به واستكمل «يودغان» أحد تلاميذه ما بدأه فحرم تناول الخمر وأكل اللحم وكان يبحث فى التأويل الباطنى للتوراة ويؤكد أن أعياد اليهود وتقديس يوم السبت ماهى إلا رموز وطقوس لم تعد جائزة لليهود.. ووصف «يودغان» نفسه كنبى.. وإن كان عرف عنه الزهد الشديد والإكثار من الصلاة واستكمل سلومون الكاهن الذى ظهر فى فلسطين مسيرة المدعين فأعلن عن نفسه بأنه الماشيح المنتظر وكان ينتقل مابين المدن طالبا من اليهود أن يتجمعوا حتى يعيد بناء الهيكل واختفى فى مدينة ما ولم يعد له ذكر يحدد نهايته.

ورغم أن مدينة «فاس» بالمغرب تبعد آلاف الكيلو مترات عن فلسطين إلا أن الفكر المشيحانى وجد لنفسه مكانا هناك عندما أعلن موسى الدرعى عام ١١٢٧ أنه الماشيح الذى سيحقق معجزته الأولى فى الليلة الأولى من الفصح اليهودى .. وكان موسى متأثرا وبشدة بقصة خروج بنى إسرائيل من مصر بقيادة نبى الله موسى عليه السلام.. فأمر أتباعه بأن يستدينوا من المسلمين ما يقدرون عليه

لأنهم سيخرجون معه لبناء الهيكل وتأسيس دولة اليهود التى ستحكم العالم ولن يروا جيرانهم المسلمين مرة أخرى ولن يستطيعوا أن يطالبوهم بتسديد دينهم.. صدقه كثير من البسطاء ونفذوا تعليماته وعندما جاء عيد الفصح ولم تتحقق نبوءة موسى «الدرعى» تحول أتباعه إلى فقراء وهرب هو إلى فلسطين ومات فيها.

ولم يمر أكثر من ثلاثين عاما تقريبا حتى ظهر مدع جديد فى منطقة أخرى فى العالم ولكنه كان يؤمن أيضا بعودة الماشيح.. والماشيح هذه المرة كان رجلا ذا طبيعة خاصة فوالده من قبله كان قد ادعى أنه «ألياهو» النبى الذى بعث ليبشر بالماشيح.. وأن ابنه داود هو الماشيح.

ولد مناحم بن سلومون فى شمال العراق وعرفه اليهود والعالم باسم «داود الرائى» أو الروحى» واللقب الأخير يقال إنه اسم عائلته ولكن باللغة العربية وكانت منطقة شمال العراق قريبة من تلاحم الكثير من الأديان والمذاهب والفرق الدينية التى سمحت لكثير من أصحاب الهوس الدينى بالظهور وإطلاق دعوتهم المختلفة.. قضى داود جزءا من طفولته وشبابه فى شمال العراق ثم رحل إلى بغداد ودرس فيها عدة سنوات.. اكتسب فيها كثيرا من المعارف ودرس علوم السحر والتصوف وتعرف على كثير من المذاهب والديانات المختلفة وعرف عنه أنه ذو شخصية تميل إلى المغامرة والشجاعة يمتلك قدرة كبيرة على الإقناع.. وساعده على ذلك دعوة والده مما دفع بداود إلى دعوة يهود العراق إلى اتباعه.. وكانت شخصيته التى تتميز بالنشاط والحيوية قد دفعته إلى كتابة الرسائل إلى الجاليات اليهودية بالشرق ذاكرا فيها أن الوقت حان لاجتماع اليهود وجمعهم من الشتات للاجتماع فى فلسطين وطلب من اليهود أن يبدأوا فى طلب الغفران والتوبة والتخلص من الذنوب والآثام من أجل الاستعداد للخلاص بعد ظهوره وتأسيس دولة اليهود.. وأتت رسائله بفعلها وساعده على نجاح جزء كبير من انتشار دعوته إخلاص المندوبين الذين أرسلهم إلى كثير من البلدان التى يقيم بها اليهود وكانوا يحملون الأحلام والأمانى وصورة شديدة القدسية عن المخلص الجديد.. مما حدا بالكثيرين من اليهود إلى ترك بلدانهم والانضمام إلى «الرائى» الذى وعد بإعداد

جيش ضخم هائل من أجل بدء المعركة النهائية وتأسيس دولة اليهود.. وعندما نجح فى تكوين جيش .. أعلن الحرب على الخليفة العباسى واحتل قلعة العمادية فى شمال العراق.. وتحرك من أجل الاستيلاء على المنطقة المجاورة له.. وقبل أن يبدأ فى تنفيذ مهمته المقدسة قتل «الرائى» أثناء نومه.. وقيل إن والد زوجته هو الذى قتله.. وقالوا أيضا إن الخليفة قد دبر مقتله.. ورغم إيمان الكثيرين من اليهود بدعوته إلا أن هناك من تنبأ.. وأدرك حقيقة دعوة «الرائى» وكانوا من اليهود أنفسهم فاستغلوا الدعوة لصالحهم وجنوا من ورائها ثروة طائلة .. عن طريق استغلال جهل البسطاء وتصديقهم لدعوة «الرائى».. فعندما كان يكتب الرسائل إلى اليهود فى كل مكان.. كان من ضمنها رسالة بعث بها إلى أحد كبار اليهود فى بغداد.. وقعت هذه الرسالة فى يد اثنين من المحتالين.. وكان مضمون الرسالة يدور حول ضرورة حشد اليهود والاستعداد لمجىء الماشيح والتبشير بمقدمه إلى بغداد.. فاتفق المحتالان وأضافوا إلى الرسالة واحدة أخرى حددا فيها ليلة معينة طالبوا فيها اليهود بأن يصعدوا فوق أسطح منازلهم لانتظار الملائكة التى ستأتى إليهم لتحملهم على أجنحتها إلى أورشليم المدينة المقدسة وطالبهم فيها بتسليم أموالهم ومصوغاتهم وثرواتهم كلها إلى هذين الرجلين ليتصدقوا بتلك الثروة حتى تتم مهمة الملائكة والماشيح المخلص بسلام.. ووضعوا علامة مميزة لهما بأنهما سيرتديان ثيابا خضراء.. وتم تنفيذ التعليمات بدقة وتسلم المحتالان ثروة طائلة من اليهود الذين صعدوا إلى أسطح المنازل فى انتظار وصول الملائكة.. ومرت الليلة ولم تحضر الملائكة.. وفقد من صدق منهم كل ما يملكونه وهرب المحتالان بأموال البسطاء.. وسمى ذلك العام «بعام الطيران» وتحول إلى طرفة يتحاكى بها أهل العراق لما حدث لليهود .. ولم تنته قصة «الرائى» بموته وإنما تحول إلى أسطورة.. يتناقلها أبناء اليهود حتى انتشرت سيرته وأصبح هناك من يعتقد بعودته مرة أخر ى وبسبب ذلك الاعتقاد أصبح هناك من يعرف «بالمناحمية».

وتوالى ظهور الماشيحيين فى اليمن وفلسطين ومناطق أخرى من العالم كانت

كثيرا ماتلقى معارضة الحاخامات الذين كانوا يواجهون تلك الادعاءات باتهامهم بالدجل والشعوذة واستغلال البسطاء حتى خرج الحاخام «إبراهام أبو العافية» ليحدث حالة جديدة من الحيرة والبلبلة التى أوقع فيها اليهود عندما ادعى أن العصر المشيحانى قد بدأ وأن الوقت قد حان لجمع قبائل اليهود الضائعة والمتفرقة من العالم.

كانت دعوته ذات صبغة خاصة فهو «حاخام» متخصص فى علم القبالاة وله خبرة هائلة بعلوم السحر مما جعل دعوته تلقى قبولا هائلا لدى العامة استنادا لمكانته الرئيسية.. ولد أبو العافية فى الأندلس ودرس العلوم الدينية وتخصص فى القبالاة.. وعندما بلغ العشرين من عمره سافر إلى فلسطين فى عام ١٢٧٥م بعد أن أعلن عن بداية عصر الماشيح للبحث عن أبناء القبائل اليهودية وتنقل مابين مدن وقرى فلسطين ناشرا دعوته ومبشرا بها.. وتعطلت مهمته بسبب الحروب مابين المسلمين والصليبيين.. فانتقل إلى المرحلة الثانية من دعوته بأن أعلن عن نفسه كنبى يتلقى الوحى تمهيدا لظهور المخلص.. وألف فى سبيل ذلك كتابا أسماه «الكتاب النبوى» شرح فيه أفكاره.. ودعوته كنبى يتلقى الوحى.. وبحث لنفسه عن أتباع جدد.. فقرر السفر إلى روما للقاء «البابا نقولاس الثالث» ليراجعه ويحذره من اضطهاد الكنيسة لليهود ويطلب منه تبرئتهم من دم المسيح وهو الأمر الذى كان يطارد اليهود فى العالم المسيحى كله حتى أن كلمات مثل خنزير وحقير وكاذب كانت تعنى «يهودى» فى أماكن كثيرة من أوروبا.. وتناقل اليهود أخبار سفر «أبوالعافية» لمواجهة بابا روما وهو الأمر الذى زاد من شعبيته بينهم.. ولكنه لم يؤثر كثيرا على البابا الذى أصدر حكما بموت أبوالعافية حرقا حتى الموت.. وعلى الفور تم تنفيذ الحكم ووضع «أبوالعافية» فى السجن عدة أسابيع كان خلالها شديد الهدوء والثقة.. يردد فى رسائله إلى أعوانه أنه سينجو وأن لديه من العلم والمعارف ما يجعله ينجو.. وأثناء انتظاره فى السجن لتنفيذ حكم الموت عليه.. مات البابا نقولاس الثالث فجأة.. ولم يمر سوى عدة أسابيع حتى خرج أبوالعافية من السجن وهو يؤكد أن نجاته من الموت ماهى إلا معجزة تؤكد أقواله ونبوته وهو ما

وضعه فى كتاب جديد بعنوان «كتاب الشهادة» سجل فيه تجربته ونجاته من الموت بفضل قداسته.. وذاع صيت «أبو العافية» وصدق به الكثيرون حتى أنهم تركوا بلدانهم وهاجروا إلى فلسطين بانتظار إقامة دولة اليهود على يد المخلص وفى نفس الوقت حاول معارضوه القضاء عليه فكتبوا إلى الحاخامات فى كل مكان يشكونه إليهم ويطالبونهم بإيقافه واختصوا حاخام الأندلس بالشكوى بعد أن اتهموه بأنه أحد المدافعين عنه مما جعله يصدر كتابا أعلن فيه أن «أبوالعافية» كاذب ودجال ومدع.. وعندما وصلت هذه الأنباء إلى أبوالعافية لم يجد أمامه سوى الاختفاء فاختار جزيرة معزولة من جزر البحر الأبيض المتوسط اختبأ بها وتفرغ لكتابة الرسائل والمقالات التى يدافع فيها عن دعوته ويحارب من خلالها حاخامات اليهود المنتمين إلى المؤسسة الرسمية ولم يتورع عن وصفهم بالقرود والجهلة من أصحاب العقول الفارغة.. ولم يكتف بهجومه على الحاخامات بل هاجم شريعة موسى والتلمود والمشناه.. وواصل هجومه على الجميع حتى اختفى ولم تعرف نهايته.

كان كل هؤلاء المدعين وغيرهم مجرد أصوات معبرة عن الحلم اليهودى بظهور مخلص يحقق لليهود أملهم بالعودة إلى الأرض المقدسة التى يجتمع فيها شعب الله المختار كما يتصورون عن أنفسهم ليتجاوزوا من خلاله رحلة الفشل الطويلة التى اختاروا فيها البعد عن الله وخرجوا عن شريعته التى جاء بها موسى عليه السلام وانفصلوا من خلالها عن مجتمعاتهم التى عاشوا فيها بعد أن وضعوا لأنفسهم حلما خاصا بهم يتحقق من خلال هجرة جماعية بقيادة مخلص مما جعلهم لا يتفاعلون مع مجتمعاتهم ولا ينتمون إليها وإنما ينتمون إلى فكرة المشيحانية التى تمنحهم وضعا خاصا ويظل شبتاى تسفى نقطة فاصلة فى تاريخ الفكر الدينى اليهودى المشيحانى فهو مؤسس حقيقى لنمط تفكير أفرز جماعات من بعده ساهمت وارتبطت فيما بعد بتكوين الدولة الصهيونية الحديثة.. خاصة أن حركة شبتاى كانت حركة مفصلية نتيجة لتداخل كثير من الأحداث العالمية التى أثرت على الحركة اليهودية فى العالم فقد جرت الأحداث العالمية من غياب

الإمبراطورية الاستعمارية الأسبانية وبدء علو الاستعمار الهولندى والانجليزى إلى جانب انتهاء حرب الثلاثين عاما (١٦٤٨-١٦١٨) والثورات التى اجتاحت أوروبا ونبوءات نهاية العالم وظهور الماشيح التى تنبأ بها كتاب الزوهار.. وحلول عام الوحش وعلو شأن فكر « القبالاة اللوريانية التى انتشرت وذاعت وجعلت من اليهود نقطة الانطلاق لخلاص العالم.. كل هذا مهد الطريق لدعوة «شبتاى تسفى» الذى تحرك فى نقطة مفصلية ولحظة تاريخية كان العالم يندفع إليها فاستغل هو الفجوات التى أفرزها ذلك التحرك لينطلق بدعوة استغرقت سنوات طويلة من تاريخ العالم وترك من بعدها «يهود الدنمة» وهم تجسيد لفكر شبتاى وحالة غامضة من حالات الجماعات السرية التى تحترف مبدأ «التقية» فتظهر غير ما تبطن وتعمل على أهدافها بحذر شديد وتنفذ مخططا بارعا يهدف فى النهاية إلى علو اليهود وسيادتهم على العالم.

استعد العالم لاستقبال دعوة شبتاى تسفى بالحروب الطاحنة وغياب إمبراطوريات وصعود أخرى وسيطرة فكر «القبالاه اللوريانية» على اليهود فى العالم كله خاصة بعد طرد يهود أسبانيا وتصاعد حمى «المشيحانية» وخاصة بما اشتملت عليه من عقيدة خلاص بنى إسرائيل.. فخروج اليهود من إسبانيا هربا من محاكم التفتيش.. تسبب فى علو التصوف اليهودى والذى غالبا يدور فى إطار حلولى بعيد عن الإيمان «بالوحدانية الكونية» فالله لديهم يحل فى الطبيعة والإنسان والتاريخ ويتوحد معها ويصبح لا وجود له خارجها.. فالمتصوف اليهودى يحاول الوصول إلى فهم طبيعة الإله من خلال التأمل والمعرفة بهدف التأثير فى الإله والتحكم من خلاله فى الواقع.. ومن هنا كان ارتباط التصوف اليهودى أو القبالاه بالسحر هو المنبع الذى ارتوى منه كل من ادعى أنه الماشيح.

وتقول الموسوعة العربية الميسرة إن «القبالاه» هو مذهب فى تفسير الكتاب المقدس عندهم، يقوم على افتراض أن لكل كلمة ولكل حرف فيه معنى خفيا ونشأ المذهب فى القرن السابع وهو محاولة ترمى إلى إدخال روح مستحدثة فى اليهودية.. ويفسر اليهود «القبالاه» بأنها مذهب يهودى تصوفى يعتزل فيه «الأتباع»

العالم بكل مشاكله وسقطاته ليتكشف لهم عالم الأرواح والأسرار الخفية وأن هذا المذهب نتج عن تراكم الموروثات التاريخية والتى درسها شبتاى تسفى وتأثر بشدة بالقبالاه اللوريانية.. ولد «شبتاى» عام ١٦٢٦ فى مدينة «سميرنا» التى نعرفها اليوم بأزمير كان والده من سلالة أسرة يهودية إشكنازية نزح من ألمانيا ليستقر به الأمر فى سميرنا بعد أن جرب الحياة فى اليونان ولم يستطع الاستقرار بها.. بدأ حياته فى سميرنا فى العمل بتجارة الطيور والبيض ثم عمل فى السمسرة والرهونات حتى أصبح مندوبا لشركة تجارية بريطانية.. حقق فيها نجاحا كبيرا جعله فى مصاف الأثرياء.. وعمل معه أبناؤه كلهم فى التجارة ماعدا شبتاى تسفى الذى ظهرت عليه علامات الذكاء منذ طفولته فأصرت أمه على تعليمه فى إحدى المدارس اليهودية الدينية الشهيرة.. فدخل فى سن السادسة وتعلم فيها التوراة والتلمود وما إن بلغ الخامسة عشرة حتى كان يقوم بالتدريس لمن هم أصغر منه سنا واستمر فى دراسته الدينية واجتذبته دراسة «القبالاه» حتى استحوذت على عقله تماما بما ارتبطت به من الغموض الشديد والسحر والتنجيم والفراسة وقراءة الكف وتحضير الأرواح وعلم السيمياء والمعادلات الرقمية للحروف وغيرها من أمور الخوارق التى جعلت شبتاى فى حالة انبهار وتحفز.. وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره كان قد اكتسب الكثير من المعارف حتى أنه حصل على رخصة بأن يمارس الأستاذية ويمنح الطلاب الشهادات العلمية.. أثرت عليه دراسته لعلم القبالاه.. فأخذ يحسب .. الحسابات الفلكية والسرية وأعلن لتلامذته أن سنة الخلاص لبنى إسرائيل ستكون عام ١٦٤٧ وفى ذلك الوقت نشب نزاع مسلح بين تركيا وإمارة البندقية حول السيطرة على جزيرة كريت.. كانت الحرب فرصة لوالد شبتاى لتتضخم ثروته حتى تحول إلى أحد كبار أثرياء اليهود.. وقرر أن يقوى دعائم ثروته بمصاهرته لأحد أثرياء اليهود فى المدينة فخطب ابنته لشبتاى ابنه الموهوب المتعلم.. ذائع الصيت.. ولم يتم الزواج.. فشبتاى كانت لديه أمور أكثر أهمية تسيطر على عقله وحواسه.. فكل ما درسه كان يؤكد ظهور الماشيح المخلص الذى سينهى عذاب وهوان بنى إسرائيل.. وشعر أنه أحق من غيره بهذه المهمة

الخاصة جدا وبدأ دعوته بالمدينة..

قضى شبتاى طفولته وشبابه فى المدينة العثمانية المليئة بالحياة والحركة والتجارة والجنسيات المختلفة التى تتلاقى فى الأسواق والخانات.. والتى اعتادت دروبها وشوارعها لهجات وعادات وتقاليد أبناء الشعوب الأخرى . وكان لليهود أعمالهم ومنازلهم ومعابدهم وتقاليدهم التى حافظوا عليها وإن كانوا لم ينسوا أبدا ظهور المخلص الذى سيحمل لهم النجاة لينقذهم من معاناة التشتت والشعور بالاضطهاد الذى كانوا يحملونه منذ مئات السنين وشعروا به بقوة بعد خروجهم من أسبانيا بعد انهيار دولة الأندلس ومطاردة محاكم التفتيش لهم والتى أجبرت الكثيرين منهم على " التنصر " وإن كانوا احتفظوا فى الخفاء بعقيدتهم وهم من عرفوا " بيهود المارانو المتخفين " وخرج البعض منهم وتفرقوا فى الدول الإسلامية والأوروبية .. ليزداد الاهتمام بالقبالاه ليتصاعد معها الهوس بفكرة ظهور " الماشيح " خاصة بما اشتملت عليه القبالاه من عقيدة الخلاص لبنى إسرائيل وتطورت مفاهيم القبالاه على يد " إسحاق لوريا " حتى أنها عرفت باسمه " القبالاه اللوريانية " مقابل قبالاه الزوهار ووضع إسحاق لوريا مفاهيمه الخاصة على الفكر الصوفى وضمنها فكرة مشاركة الإنسان اليهودى الله فى عملية الخلاص الكونية وعودة بنى إسرائيل وانتصارهم نتيجة تحقق الخلاص وظهور المخلص واستطاع " لوريا " أن يربط ما بين التدريبات الصوفية الداخلية التى تلجأ إلى التأمل والزهد لاكتشاف الأسرار الإلهية والتى يقوم بها اليهودى بمفرده وما بين استعادة الشرارات الإلهية لليهود كجماعة مختارة من الله منذ البداية والدمج بين الاثنين عن طريق ظهور " الماشيح " والتوحد مع الله وتغيير الكون كله لصالح اليهود ..

كانت دراسة القبالاه اللوريانية قد استحوذت على عقل شبتاى تماماً .. وجعلته يستغرق فى دراسة المزيد من التاريخ اليهودى والتعاليم الدينية وعرف عنه تدينه الشديد مما ميزه عن أشقائه التجار وأحاطه بهالة من القدسية والمهابة زادتها غرابة أطواره التى ازدادت مع تقدمه فى العمر فكانت تنتابه حالات من النشاط

والتوهج والرغبة فى إنجاز الكثير من الأمور وتستمر معه لفترة طويلة ثم تنعكس حالته تماما ويعقبها حالة من حالات الصمت والرغبة فى العزلة والبعد عن الناس والصمت لفترات طويلة .. وإن كان احتفظ فى كل الأحوال بحرصه الشديد على أناقة ثيابه . واستخدام العطور إلى جانب حرصه على السباحة فى البحر صيفا وشتاء .... تعمق شبتاى فى دراسة الفكر المشيحانى وسط تغييرات هائلة كانت تحدث من حوله واعتبرها هو والكثيرون مقدمة حقيقية وحتمية لظهور المخلص بعد نهاية حرب الثلاثين عاما والتى كانت سلسلة من الصراعات الدامية التى مزقت أوروبا بين عامى١٦١٨ - ١٦٤٨ ووقعت معاركها بداية وبشكل عام فى أراضى أوروبا الوسطى خاصة أراضى ألمانيا الحالية العائدة إلى الإمبراطورية الرومانية المقدسة ولكن اشتركت فيها تباعا معظم القوى الأوروبية الموجودة فى ذلك الوقت ماعدا إنجلترا وروسيا وامتدت الحرب لتشمل المعارك فرنسا والأراضى المنخفضة وشمال إيطاليا خلال سنواتها الثلاثين ومع الوقت تغيرت تدريجيا طبيعة ودوافع الحرب التى اندلعت فى البداية كصراع دينى بين الكاثوليك والبروتستانت وانتهت كصراع سياسى من أجل السيطرة على الدول الأخرى بين فرنسا والنمسا .. وكان الأثر الرئيسى لحرب الثلاثين عاما والتى استخدمت فيها جيوش مرتزقة على نطاق واسع .. تدمير مناطق بأكملها تركت كالخرائب بعد أن تعرضت لنهب الجيوش وانتشرت خلالها المجاعات والأمراض وهلكت مدن بأكملها حتى إنه خلال الحرب انخفض عدد سكان ألمانيا بمقدار ٣٠٪ وانخفض عدد سكانها من عشرين مليونا إلى ثلاثة عشر مليونا ونصف المليون وقل سكان الأراضى التشيكية بمقدار الثلث .

ويمكن أن نقول إن عدد ضحايا الحرب وصل إلى ثلث سكان أوروبا تقريبا .. أشعلت هذه الحرب دعاوى ظهور الماشيح الذى من شروط ظهوره أن تشتعل الحروب ويزداد الدمار وينتشر الخراب ليظهر الماشيح ومع أن الحرب انتهت عام١٦٤٨ قبل إعلان شبتاى عن نفسه عام ١٦٦٦ إلا أن آثار الدمار والموت والخراب التى تركتها الحرب كانت كافية لتدعم ظهور الماشيح وأدت فيما بعد

لاندلاع حرب مباشرة ما بين فرنسا وأسبانيا .. ولأن ظهور الماشيح ارتبط بالموت والدمار فإنه اتفق مع النبوءة التى سرت فى الأوساط المسيحية وانطلقت من روسيا فى ذلك الوقت بنبوءات نهاية العالم وظهور الماشيح ليعيد مجد صهيون ويقيم الهيكل والذى سيتفق مع استرجاع اليهود لفلسطين فى عام الوحش وهو ما اتفق مع ما ذكر فى الزوهار ، كتاب القبالاه بأنه فى عام ٥٤٠٨ " سينهض الذين يرقدون فى التراب " وهذا العام فى التقويم اليهودى يقابله عام١٦٤٨ فى التقويم الميلادى . وعندما لم تحدث نهاية العالم فى ذلك العام التفتت أنظار اليهود كلهم إلى الأحداث الجسام التى حلت بالعالم من الحرب التى تعرض لها يهود بولونيا وأوكرانيا .. وتراجع دور اليهود فى بولندا بعد ثورة "يوجدان شميلنكى زعيم القوزاق عام ١٦٤٨ واكتسحت البولنديين وأعوانهم من اليهود وتحطم الاقتصاد البولندى تماما فى هذه المرحلة إذ توقفت تجارة الحبوب من خلال بحر البلطيق وانخفض مستوى المعيشة وتدهورت المدن وفقدت ثلاثة أرباع سكانها وشهدت بولندا أسوأ تضخم فى تاريخها .. وكانت هذه المنطقة من أوروبا تضم نصف يهود العالم تقريبا وانتشرت وقتها الأقاويل التى تردد بأن ثورة شميلنكى أبادت عشرات الألوف من اليهود واتسمت تلك الأقاويل بالمبالغة الشديدة ولكنها انتشرت لتتوافق مع نبوءات نهاية العالم وتمهد لظهور " الماشيح " خاصة أن أعدادا كبيرة من اليهود هربت ثم عادت بعد استقرار الأمور بعض الشىء والطريف أن زوجة شبتاى فيما بعد كانت من أسرة بولندية هربت من الأحداث فى بولندا واستقر بها المقام فى القاهرة حتى التقت بشبتاى وتزوجته..

كانت النبوءات كلها تتجمع فى عام ١٦٤٨ لظهور " الماشيح " وكان اليهود فى كل بلدان العالم قد استعدوا لهذا العام وتفرغوا للصلاة والصيام والتعبد أملا فى الحصول على مكانة جيدة فى نهاية العالم .. وانتهى عام ١٦٤٨ولم ينته العالم .. ولم يظهر " الماشيح " الذى كان ينتظره الكثيرون من اليهود حتى أن كثيرا من المسيحيين والمسلمين تأثروا بهذه الأقاويل رغم مقاومة رجال الدين الإسلامى والمسيحى لتلك الأقاويل والتى عدوها من قبيل الخرافات وأيدهم فى ذلك كثير

من حاخامات اليهود .

ولم تنته أقاويل نهاية العالم وظهور المخلص عند هذا الحد بل خرج كثير من المؤمنين المنتظرين ليعللوا أسباب تأخر ظهور الماشيح بأنه مرتبط بعام الوحش الذى سيحمل فى عام ١٦٦٦وبأن الفارق ما بين عام ١٦٤٨وعام ١٦٦٦هو ثمانية عشر عاما أى رقم ٦مكرر ثلاث مرات مما يعنى الدرجات الثلاث الأخيرة باتجاه نهاية العالم بما سيحمله من دمار وخراب وطوفان هائل يغرق العالم وزلازل مخيفة تهتز فيها الأرض وتبتلع ما فوقها ويتحقق ما جاء فى سفر الرؤيا من ظهور الوحش الذى هو أداة للشيطان له هيئة مخيفة هائلة من شراسة النمر ولونه وافتراسه وفم الدب وشراهته وميله لسفك الدماء وقوة وتصلب الأسد وتكبره " ويجعل الجميع الصغار والكبار والأغنياء والفقراء والأحرار والعبيد تصنع لهم سمة على يدهم اليمنى أو على جبهتهم وألا يقدر أحد أن يشترى أو يبيع إلا من له السمة أو اسم الوحش أو عدد اسمه . هنا الحكمة من له فهم فليحسب عدد الوحش فإنه عدد إنسان وعدده ست مئة وست وستون " سفر الرؤيا.

وانتشر الخوف والهلع فى ذلك الوقت من ظهور الوحش .. وأصبح الجميع مستعدا لاستقبال شبتاى الذى خرج من رحم الخرافة وأعراض المرض النفسى وحالات العزلة والاكتئاب ليعلن أنه الماشيح المنتظر فى عام ١٦٤٨ كان عمره وقتها ٢٢ عاما شابا يافعا .. دارسا للتوراة متعمقا فى علم التصوف .. ممتلئا بكل أحلام اليهود بالخلاص .. منقبا داخل أوهامه وطموحاته التى دفعته إليها حالة الهوس التى اجتاحت العالم فى انتظار نهاية مؤلمة ومتزامنة مع عام سيظهر فيه الوحش ليفترس الضعفاء الذين بلا نصير ولا مخلص يحميهم .

ارتدى هو ثوب المخلص وأطلق دعوته فى أسواق وشوارع " سميرنا " المدينة الممتلئة بالأجناس والأديان .. فهو بعد أن أصبح متسلحا بدراسته للتوراة التى منحته حق أن يعتبر نفسه على صلة بإرادة الله وعقله وهو فى حالة طاعة للإرادة الإلهية التى منحته هبة أن يقوم بدور المخلص الذى سيجمع شتات اليهود إلى أرض إسرائيل ويعيد بناء الهيكل ويبعث الموتى ويحاكم الجنس البشرى كله .. كانت

مواكبه تخترق شوارع سميرنا يغنى فيها المزامير والأناشيد وأبيات الشعر الصوفى .. كان العامة يجتمعون من حوله يجذبهم إليه أسلوبه الفريد فى الدعوة وصوته المؤثر المليء بالشجن والغموض وأوامره التى تلغى العقيدة اليهودية وتوقف العمل بها من أجل النهاية التى ينتظرها الكثيرون .. وبسرعة شديدة انتشرت دعوته فتنبه له حاخامات سميرنا وحاول البعض من اليهود المحافظين الاعتداء عليه هو وتلاميذه بالضرب والقتل بعد أن ضاقت صدورهم بنبوءاته وادعاءاته .. ولم يجد أمامه سوى الهرب والفرار إلى القسطنطينية أو اسطنبول وفيها استقبله إبراهام ياكين الذى اعتنق أفكاره ودعوته وساعده على نشرها .. ولكن كان حاخامات اسطنبول أشد وعيا من الآخرين فسارعوا بالهجوم عليه وكادوا يفتكون به .. فحمل أدعيته وتراتيله التى اجتهد فى تأليفها طوال إقامته فى اسطنبول فهرب إلى مدينة سالوميك التى كانت تنتشر بها علوم القبالاه .. وهنالك أقام فيها .. وكثر أتباعه ومريدوه الذين كانوا يستضيفونه فى منازلهم وكانت تقام له الولائم والاحتفالات التى تمجد دعوته وكلماته وأشعاره التى كان يبتهل من خلالها إلى الإله ليحلل كل ما حرم حتى وقعت الحادثة الكبرى التى أنهت إقامته الهانئة التى استمرت لمدة ثمانية أعوام .. كانت ليلة خاصة جدا فى حياته .. عندما أقيمت على شرفه وليمة كبرى حضرها أتباعه ومريدوه وجلس فيها " شبتاى " كملك متوج .. يرتمى أتباعه تحت قدميه من أجل أن يحصلوا على شرف لمس ثيابه أو تقبيل يديه .. شعر أنه ملك كل شيء وازداد إحساسه بالسيطرة حتى أنه أعلن أن تلك الليلة هى ليلة زفافه وعروسه هى التوراة التى تزف إليه .. فهو " ماشيح " بنى إسرائيل .. صاحب الكلمة الفاصلة ..

لم تمر أحداث تلك الليلة بسلام .. وذاعت قصة زواجه بين أوساط اليهود الأمر الذى لم يحتمله حاخامات اليهود المحافظون الذين كانوا ينظرون إلى دعوته بكثير من الأمل والرجاء والحذر الذى تبدد تماما بعد أحداث ليلة زفافه .. فما كان منهم إلا أن أجمعوا رأيهم على ضرورة التخلص منه .. فاستصدروا حكما من المحكمة الملية اليهودية بكفره وخروجه عن الدين اليهودى وتحريضه الآخرين على

الكفر وحكموا عليه بالقتل .

ومرة أخرى حمل " شبتاى " ملابسه الأنيقة ودفاتر أشعاره وتراتيله وهرب مع أتباعه واختبأ لبعض الوقت فى مدينة أثينا وانشغل بقراءة الطالع والتنجيم ولم يستقر فى المدينة بل تنقل كثيرا بدءا من عام١٦٥٨ وحتى بدأ عام١٦٦٠ أول أيامه .. فرحل إلى مصر أرض الخروج التى لم تغب عن عقله أبدا ففيها جالية يهودية تنتظر قدومه بلهفة شديدة واستقبل فيها بترحاب حار من معظم اليهود وخاصة أبناء الطبقة الراقية التى كانت قد سبقته دعوته إليهم حتى إنه انضم إلى حلقة من دارسى القبالاه كان من أعضائها رئيس الجماعة اليهودية " روفائيل يوسف جلبى " مدير خزانة الدولة .. ولم ينس شبتاى أبدا أن مصر احتضنت فى يوم من الأيام أستاذه ومعلمه " إسحق لوريا " الذى قضى عدة سنوات من عمره متعبدا فى إحدى جزر النيل قبل أن يرحل إلى مدينة " صفد " بشمال فلسطين ليلتقى بأستاذه ومعلمه " موسى القرطبى " الذى مات بعد لقائهما بعام ليجتذب بعد ذلك لوريا الأتباع بعد أن شعر أن له دورا محوريا فى العمل على التبشير بقرب الماشيح ليتشبع كل من حوله بما له من الحنين والاشتياق لظهور المخلص والعودة إلى أرض الميعاد والخلاص وهو ما يتطلب أن يبادر الله بالانسحاب إلى الذات وهذا الانسحاب أمر ضرورى لكى يحدث الفراغ اللازم لوجود العالم .. وبدون هذا الفراغ تكون الذات الإلهية فى كل مكان وبالتالى لا يكون للكون وجود أى لا مكان لوجوده.

ومع كل ما كان يشغل بال شبتاى فإنه وجد وقتا كافيا ليخترق الحب قلبه المشغول بنهاية العالم وبوجوده هو شخصيا كممثل للإله على الأرض .. فوقع فى حب فتاة بولندية يهودية شديدة الجمال ولم تكن حالتها تختلف كثيرا عن حاله .. فهى أيضا كانت غريبة الأطوار .. عانت كثيرا بعد تعرضها لظروف قاسية فقد كان والدها يعمل وكيلا لأحد نبلاء بولندا وحينما نشبت ثورة شميلنكى التى اكتسحت الإقطاع البولندى فى أوكرانيا فقد والدها مكانته وثروته وهرب باحثا عن ملجأ أمين .. فقيل إنه هرب إلى مصر .. وعاشت فيها " سارة ترتب " حياة

جديدة اضطرت فيها إلى العمل كعاهرة وإن كانت وجدت لنفسها مخرجا لمهنتها بأن ادعت بأنها لديها رخصة من الإله بأن تعاشر من تريد جنسيا لأنها ستتزوج من الماشيح فقط وأن علاقاتها ما هى إلا علامة على أن زواجها لن يكون إلا من المخلص ويبدو أن ما أشيع عن قرب نهاية العالم وظهور المخلص قد وظفته سارة بما يتوافق مع ظروف حياتها .. وتحقق حلم سارة وتزوجها شبتاى ويجوز أنه سمع هو أيضا بما تردده ويتناقل بين أوساط اليهود فقرر أن يؤكد موقفه ودعوته بزواجه منها .

غادر شبتاى القاهرة متوجها إلى فلسطين بعد أن سبقته رسائل دعوته وبشائر ظهوره ليستقبله اليهود عام١٦٦٢ بلهفة شديدة وفضول أشد لرؤية المخلص .. ولم يهدأ شبتاى منذ لحظة وصوله وكان يتنقل ما بين المدن منشدا ومغنيا فى مواكب كانت تجتذب الكثيرين إليه حتى أعلن اليهود الإشكنازى " نيثان الغزاوى " أن شبتاى هو المخلص وأنه هو الماشيح بن داود بنفسه وأن " نيثان " هو النبى المرسل للتبشير بمقدمه وتحول إلى الداعية الأول " لشبتاى " .. ولم تقف دعوة " نيثان " عند حد التبشير به فى فلسطين بل تفرغ لكتابة الرسائل لأعضاء الجماعة اليهودية فى العالم يبشرهم فيها بظهور المخلص ويطالبهم بالاستعداد للأيام الفاصلة والتى بدأت عندما جمع " شبتاى " الشرارات الإلهية المتناثرة فى الكون حتى يبدأ فى تنفيذ المهمة الأخيرة باستيلائه على عرش السلطان العثمانى .. وتدميره وقتله .. ثم يتفرغ بعد ذلك لإقامة مملكة اليهود فى صهيون وتأكيد سيادتهم على العالم .. وأحدثت رسائل " نيثان آثارا مختلفة فى العالم كله فمن صدقها وآمن بها اعتبرها تأكيدا لما سبق وتناهى إليهم عن ظهور المخلص فبدأوا فى الاستعداد لتلك الأيام الفاصلة .. فباع كثير منهم كل ما يملكونه وتركوا أعمالهم وتفرغوا للصلاة والعبادة والاستعداد للسفر إلى أرض الميعاد لإقامة دولة اليهود .. وعلى الجانب الآخر لقيت هذه الرسائل معارضة كثير من الحاخامات الذين كانوا يعتبرون دعوة الماشيح هدما للعقيدة اليهودية وأن صفات المخلص لا تنطبق على " شبتاى " ولا غيره من المدعين .. ولم يجد معارضة هؤلاء الحاخامات

شيئا أمام طوفان الأحلام التى غرق فيها كثير من اليهود الذين عرف عنهم الحرص الشديد على أموالهم وأعمالهم وتجارتهم التى تخلى الكثيرون عنها ووضع بعضهم ثرواته وأمواله تحت إمرة " شبتاى " الذى وصل الهوس به إلى أعلى درجاته حتى أن النساء كن يراقبن موكبه من الشرفات ويلقين تحت أقدامه " بالسجاد " حتى لا تطأ قدماه الأرض برمالها وأتربتها .. ولم يتبق أمام شبتاى إلا دخول القدس عام ١٦٦٥ ليعلن أنه ملك العالم الوحيد وأنه هو فقط صاحب التصرف فى أمور العالمين وعلى أبواب القدس وقف " شبتاى " ممتطيا فرسه المزين ومن حوله أتباعه ليتهادى داخل المدينة المقدسة ويطوف بها سبع مرات ومن حوله أتباعه ومن خلفه المؤمنون به غارقين فى دموعهم وتراتيلهم وابتهالاتهم منبهرين بمشاركتهم . فى تلك اللحظات المقدسة وبسرعة شديدة انتقلت كل أجواء القداسة التى أحاطت بشتباى فى القدس إلى معظم أنحاء العالم فخرج أتباعه فى بلدان أوروبا فى موكب يتصدره دعاته حاملين رايات " شبتاى " منشدين تراتيله غارقين فى بكاء مختلط بطلب التوبة والغفران واجتاحت حمى الخلاص العالم كله وسارع أثرياء اليهود إلى بيع ممتلكاتهم وشراء سفن تحمل فقراء اليهود إلى فلسطين استعدادا للحظات الأخيرة .

وشعر " شبتاى " أن العالم كله ترتب من أجله .. وأصبح ينفرد بنفسه فترات طويلة وأخذ يكثر من الصوم والتقشف والعبادة .. وأصبحت حلقات درسه تزدحم بأتباعه الذين يتزاحمون لحضور حلقات دروسه فى علوم القبالاه وفنون السحر والتنجيم وازدادت سيطرته على أتباعه حتى أنه كان ينتقى بعض من يعلن أنه راض عنهم ليرافقوه فى رحلات ليلية .. كان يختار الليالى شديدة الظلام والتى كان يغيب عنها القمر ليذهب بهم إلى المقابر وفيها كان يقضى الساعات الطويلة يرتل أدعيته وتراتيله وهم من خلفه يستمعون إلى أنفاسه اللاهثة وكلماته التى كان ينطقها بهدوء وبصوت مؤثر متهدج .. وكانوا بعد ذلك يقسمون أنهم يستمعون إلى أصوات تخرج من القبور مرددة " شبتاى تسفى هو المسيح " .. ترددت هذه الأقاويل وانتشرت بسرعة حتى أن كثيرين من أتباعه كانوا يقسمون بأغلظ الأيمان أنهم سمعوا هذه

الكلمات بأنفسهم .. وازداد اليقين بدعوة شبتاى بعد أن أعلن " نيثان الغزاوى " عن ظهور قطعة من رق غزال كتبت عليه نبوءة ظهور شبتاى .. وأظهر الصحيفة للناس .. فكانوا يسجدون لدى رؤيتهم لشبتاى .. وتنتابهم حالة من التشنجات والصراخ بعد أن ظهر بينهم المتصرف فى مصير العالم كله .

ولم يقف حاخامات اليهود ساكنين فى القدس إمام حالة الهوس التى اجتاحت أبناء ملتهم .. وحاولوا تكذيبه وفى كل مرة كان يسارع هو وأعوانه بإظهار دليل على صدق دعوته كان يتلقفه مريدوه مهما كان واهياً .. فرغبتهم فى ظهوره طغت على كل عقل وتفكير منطقى ورغم أن الحاخامات حاولوا أن يبينوا أن الرق الذى أظهره " نايثان " مزيف وأنه تم إزالة الكتابة القديمة من عليه وكتابة نص يتنبأ بشبتاى إلا أن أحدا لم يصدقهم أو يصغى إليهم .. فلم يجدوا أمامهم سوى طرده من فلسطين خاصة بعد أن أوقف " شبتاى " الدعاء للسلطان العثمانى فى المعابد اليهودية وبدأ فى توزيع الممالك والألقاب على أشد أتباعه إخلاصا حسب درجة تفانيهم وتصديقهم .. فمنح أثرياء اليهود الذين تخلوا عن ثرواتهم فى سبيل دعوته ألقاب ملوك وطالب أتباعه فى المعابد اليهودية بأن يصبح الدعاء له هو بصفته المخلص وملك اليهود المرسل .. ابتكر لنفسه ألقابا كان يوقع بها على رسائله التى يبعث بها إلى أتباعه فكان " ابن الإله البكر " مرة " وأبوكم يسرائيل " مرة أخرى وانتهى بتوقيع " أنا الرب إلهكم شبتاى تسفى ".

وكان التوقيع الأخير يعنى بدء العد التنازلى الحقيقى للمواجهة الأخيرة التى وعد بها وهى ذهابه إلى القسطنطينية " لخلع السلطان العثمانى وتدمير عرشه والقضاء على إمبراطوريته وحدد لذلك بدء عام الوحش ١٦٦٦ واستعد له "شبتاى " ببدعة جديدة نزلت كالصاعقة على اليهود المحافظين المتمسكين بالتوراة .. عندما أباح لأتباعه أن ينطقوا اسم الله الأعظم " يهوه " الذى كان محرما على اليهود النطق به " بسبب الغضب الإلهى الذى أقروا بأنه حل عليهم والذى انتهى بالسبى البابلى على يد نبوخذ نصر .. فمنذ هذا الوقت كانوا إذا وصلوا فى قراءتهم إلى الحروف الأربعة التى تشكل كلمة " يهوه " نطقوها " أدوناى " التى

تعنى مولانا .. وأعلن " شبتاى " أن غضب الله ارتفع عن الأمة ببعثه وأن الاسم المنوع قد أصبح مباحاً.

لم يتبق يهودى فى العالم لا يتحدث عن " شبتاى " سواء كان بالرهبة والإيمان أو بالسب واتهامه بالكفر وظل بعض الحاخامات متماسكين رغم ما آلت إليه الأحوال .. فالشريعة اليهودية تنتهك فى مواكب " شبتاى " على يد حاخامات مثلهم أتبعوه وتخلوا عن شريعة اليهود وتوطنت الخرافة فى عقول الكثيرين حتى أن أتباعه فى البلدان الأخرى كانوا يستعدون للسفر من بلدانهم إلى فلسطين على قطع السحاب ، وكان يكفى ذكر اسم " شبتاى " أمام المؤمنين به ليخروا على الأرض مغشيا عليهم .. وامتلأ " شبتاى " بمشاعر القوة واستحوذت عليه الفكرة التى ابتكرها وسحرته حالة من حوله وصدق ما اخترعه ولم يتبق أمامه سوى تنفيذ الوعد بعد أن أيقن أن أتباعه يملأون العالم وحتى المسلمون والمسيحيون يقفون فى حالة ترقب ما عدا العقلاء الذين أعلنوا أن عام الوحش سيمر مثله مثل كل الأعوام ولن يحدث به شىء .

وفى عيد رأس السنة اليهودية الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٦٦٥ ظهر " شبتاى " فى سميرنا بعد غياب عدة سنوات واحتشدت من أجله الجماهير والمؤمنون به والمبشرون بدعوته والمدعون بأنهم أنبياء مرسلون من أجله فاشتد غضب حاخامات المدينة الذين أعلنوا فتوى بإهدار دمه .. ولكن لم يجرؤ أحد على المساس به أو الاقتراب منه .

مما زاد " شبتاى " قوة وثقة فى نفسه حتى أن الخوف غادر قلبه نهائيا وأعلن فى المدينة التابعة للسلطان العثمانى عن قرب نهاية وتدمير عرشه وفناء ملكه .. ولم يمر أكثر من شهر واحد على استقبال المؤمنين به فى " سميرنا " حتى استدعاه قاضى المسلمين التركى للمثول أمامه .. وكعادة " شبتاى " ارتدى أفخر ثيابه وتعطر حتى تشبعت الأجواء برائحته وتمخطر فى موكب هائل يزفه أتباعه بكل مراتبهم الملكية التى منحها لهم ورافقته دعوات النساء وابتهالاتهن من شرفات مساكنهن أثناء مرور موكبه ووصوله إلى مقر القاضى الذى عرف عنه بطؤه

الشديد وتمسكه بتنفيذ القانون. كانت المدينة فى ذلك اليوم هادئة وساكنة .. فمحال اليهود مغلقة .. وتسيطر على الجميع حالة من الترقب والحذر والسكون لا يقطعها سوى همهمة الجماهير المحتشدة حول مقر القاضى.

غاب " شبتاى " داخل مقر القاضى ووقف أتباعه هادئين .. صامتين .. ومرت الساعات وخرج شبتاى واستقبله أتباعه بكلمات التمجيد واختفت حالة الترقب التى كانت سائدة بينهم وزاد يقينهم بأن ممثل السلطان وقاضى القضاة .. وقع تحت تأثير ملكهم .. وانتشرت الأقاويل التى تؤكد أن السلطان العثمانى أرسل عبر ممثله وقاضيه إلى " شبتاى " متوسلا إليه أن يقبل بأن يضع مملكته وعرشه تحت قدميه مقابل العفو عنه .. وانطلقت الهتافات بالعربية والإسبانية صارخة " عاش الملك شبتاى " .. عاد شبتاى إلى منزله .. الذى احتشد من حوله أتباعه ومبشروه.. وازداد إقبال المؤمنين عليه من كل أنحاء الدنيا وتفرغ لتعيين الملوك من أثرياء اليهود الذين جمعوا ثرواتهم وألقوها تحت قدميه .. ونطق " شبتاى " بأحد تعاليمه الجديدة والتى كانت تمثل خروجا سافرا على الديانة اليهودية فأعلن أن الاثنين هو اليوم المقدس لليهود بدلا من السبت ..

وكان حاخامات اليهود وبعض من تمسك بدينه يراقبون أفعال " شبتاى " وهم حيارى من موقف السلطات العثمانية التى تركت " شبتاى " رغم إعلانه عزل السلطان ويفترسهم الخوف والقلق على أبناء ملتهم الذين قد ينزل بهم غضب السلطان .. ووسط هذا الترقب بدأ العام الجديد وفجأة بدأ " شبتاى " يستعد للرحيل وانتشرت الشائعات فى المدينة .. فأتباعه أشاعوا أن بينهم فتاة تنبأت وتقول إنها رأت " شبتاى " يجلس على عرش من نور فى السماء وأن الأمر قد حان ليذهب إلى القسطنطينية ويعزل السلطان .. وآخرون يقولون إن الأمر السلطانى صدر إلى " شبتاى " بأن يسافر ليمثل أمامه .. وهو ما أعلنه القاضى لشبتاى الذى اصطحب معه عددا من الحاخامات الذين اتبعوه وبعضا من أتباعه وسافر بحرا متوجها إلى القسطنطينية .. وكان متوقعا لرحلته أن تستمر عدة أيام .. طالت إلى أكثر من ذلك بعد أن اجتاحت البحر العواصف وأصيبت السفينة بعطل

اضطرها لأن تتوقف عند مضيق الدردنيل .. واضطر القبطان إلى إنزال ركابها ومن بينهم " شبتاى " وأتباعه والذين فرضت عليهم حراسة مشددة واستمرت رحلتهم حتى وصلوا إلى قرية كوجوك جكجى قرب القسطنطينية .. وفى تلك اللحظات لم يكن هناك مجال للعقل فى القسطنطينية .. فاليهود كانوا فى حالة انتظار وترقب بعد أن وصلتهم أنباء عن قرب وصوله .. وعن الأحداث التى تعرضت لها السفينة التى كانت تقله من سميرنا والتى فسروها بأنها معجزة من معجزاته .. واستعدوا لاستقباله بتنظيف منازلهم وتزيين شوارعهم وأحيائهم وارتدوا من أجله أفخر ثيابهم حتى اللصوص منهم تركوا السرقة وتفرغ أهل اللهو للعبادة وأصبح اليهود يلقون بنظرات مليئة بالشفقة على العثمانيين الذين ستنتهى أيامهم وأيام سلطانهم على يد " ماشيح سميرنا " الذى وصل موكبه إلى القسطنطينية فى فبراير عام ١٦٦٦ محاطا بجنود الجيش العثمانى ومن حوله وخلفه أتباعه .. الذين يتسابقون من أجل الحصول على نظرة من وجهه .. وتعالت هتافات متباعدة رد عليها " شبتاى " بأنه سيحقق ما وعد به بصفته الماشيح المنزل من السماء .. فسمعه أحد الضباط فصفعه على وجهه أمام الجميع .. فما كان من " شبتاى " إلا أن أدار له الخد ليصفعه أيضا فازداد صراخ أتباعه إعجابا وحباً وإيمانا به ..

وتم وضعه فى أحد السجون بعد أن ادعى أمام أحمد باشا كوبريالى " الصدر الأعظم أنه مجرد رجل دين فقير يجوب البلدان جمعا للتبرعات من أجل الفقراء والمحتاجين ولم يمكث فى سجنه إلا أياما قليلة نقل بعدها إلى قلعة " جاليبولى " التى كانت مخصصة للشخصيات الهامة وكان اسمها يعنى " مفتاح البحر " وهى مكان مقدس حتى الآن لدى أتباع " شبتاى " .. وتحولت القلعة إلى مزار لأتباع " شبتاى " الذى سمح لهم بزيارته .

فقد كان السلطان محمد خان الرابع يراقب ظاهرة " شبتاى " بهدوء وحذر شديد لإدراكه تنوع الأجناس والأديان واللغات فى إمبراطوريته المترامية الأطراف وكان عالما بطبيعة وحقيقة الاختلافات ما بين الأديان إلى جانب تمرسه الشديد

منذ طفولته على المؤامرات والدسائس والتى صنعت منه رجلا يتسم بالهدوء والصبر والحذر الشديد .

كان السلطان محمد خان الرابع فى السابعة من عمره عندما جلس على عرش الدولة العثمانية فقد ولد فى يناير ١٦٤٢ وتولت جدته " كوسيم مهيكر " نائبة السلطان .. وكانت امرأة قوية تمرست على أمور الحكم وأصبحت مقاليد الأمور فى يديها وأعطت الكثير من السلطات " للأغوات " حتى أن المؤرخين أطلقوا على هذه الفترة " سلطنة الأغوات " .. وبعد وفاة السلطانة الجدة لم يكن محمد الرابع قد بلغ السن التى تمكنه من مباشرة أمور السلطنة وتولى زمام الأمور .. فتولت أمه السلطانة " خديجة تاريخان " نيابة السلطنة وكانت شابة فى الرابعة والعشرين من عمرها من أصل أوكرانى .. طويلة القوام .. زرقاء العينين .. ذهبية الشعر .. بيضاء صافية اللون .. اتصفت رغم صغر سنها برجاحة العقل واتزان الرأى .. حرصت على مصالح الدولة وشغلت نفسها بالبحث عن الرجال الأكفاء الذين يأخذون بيد الدولة .. ووجدت ضالتها فى " محمد باشا كوبريالى " وكان من أصل ألبانى اشترط لكى يتولى منصبه فى الدولة أن يكون مطلق اليد فى مباشرة سلطانه .. وفى سبتمبر عام١٦٥٦ أعلن " كوبريالى " الصدر الأعظم أن السلطان محمد قد بلغ سن الرشد وانتهت نيابة السلطانة الوالدة عليه .. وكان شبتاى " قد أعلن دعوته منذ ثمانى سنوات .. ولم يكن الصدر الأعظم ملتفتا أو مهتما فى ذلك الوقت بمراقبة دعوته التى اعتادت الدولة العثمانية بأطرافها المترامية على ظهور الكثير من المدعين أمثاله فقد كان مهتما بإعادة هيبة الدولة والتخلص من نفوذ الانكشارية وأجبرهم على احترام القانون والانشغال بعملهم والتفرغ للدفاع عن الدولة وحمايتها .. واستطاع أن يهزم جيش البترقية الذين كانوا قد استولوا على جزيرة " طنوس وبعض الجزر الأخرى واحتلوا مضيق الدردنيل وفرضوا حصارا بحريا على الدولة ومنعوا دخول المواد التموينية إلى اسطنبول .. فارتفعت الأسعار وتدهورت الحالة الاقتصادية واستمرت "صدارة " محمد كوبريالى " خمس سنوات نجحت الدولة فى أثنائها أن تسترد عافيتها ويعود

إليها بعض من هيبتها القديمة وبعد وفاته عام ١٦٦١ أصدر السلطان محمد خان الرابع فرمانا بأن يتولى أحمد ابنه منصب الصدر الأعظم وكان فى السادسة والعشرين من عمره ويعد أصغر من تولى هذا المنصب فى تاريخ الدولة العثمانية لكنه كان عظيم الكفاءة متعدد المواهب على دراية واسعة بالسياسة العالمية .. وما إن تولى منصبه حتى أدرك أن جبهة الدولة الخارجية تحتاج إلى جهود كثيرة منه .. فترك متابعة أمور الدولة الداخلية إلى «قرة مصطفى باشا» وتحرك هو إلى إعلان الحرب على النمسا التى انتهزت فرصة انشغال الدولة العثمانية بأمورها الداخلية المضطربة .. فاعتدت على حدود الدولة وبنت عليها قلعة حربية على الرغم من مخالفة ذلك للمعاهدة المعقودة بينهما ..

كانت الأحداث المتلاحقة التى تمر بها الدولة العثمانية فى استعدادها للحرب فى أوروبا لا تترك مجالاً لبحث أمر " شبتاى " .

استقر شبتاى فى قلعة بجزيرة " أيروس " ببحر إيجه .. لتتحول الجزيرة إلى بقعة مقدسة لأتباع " شبتاى " فتوافدوا عليه من كل أنحاء العالم .. واستغرق " الماشيح " فى طقوسه وتراتيله وأغانيه وهو محاط بأتباعه الذين كانوا يرون فى غرابة طباعه التى كانت تزداد مع الأيام دليلا مؤكدا على صحة دعوته حتى ميوله الجنسية الشاذة التى بدأت تبدو واضحة للعيان لم تغير شيئًا من قدسيته فى أتباعه الذين كانوا يتقبلون منه كل أفعاله بلا مناقشة .. فالتفاف النساء من حوله كان أمرا مقبولا .. وميوله الجنسية الشاذة كانت مقبولة والتى توافقت مع أناقته المفرطة التى كادت تعبر حاجز الرجولة فى كثير من الأحيان .. ومع كل ذلك كان الملوك الذين عينهم والأتباع المخلصون يستقبلون الحجاج الذين سعوا إليه من كل أنحاء الأرض وهم يترنمون بالأناشيد الدينية التى تمجده وتسبح بحمده وتبتهل إليه أن يحمل لهم الغفران ويدخلهم الجنة الموعودة .. وتحولت قلعة شبتاى إلى بلاط ملكى مقدس .. وأصبحت الجزيرة كلها وكأنها خارج العالم ومرتبطة فقط " بشبتاى " الذى تنبأت له أمه فى يوم من الأيام بأنه سيصبح رجلاً ذا شأن عظيم فى الديانة اليهودية ومن أجل ذلك دفعته بقوة إلى دراسة التوراة والتلمود والقبالاه

على يد حاخام أزمير " إسحاق دلبع " .. سبعة شهور استمر فيها مهرجان " شبتاى " حتى وفد لزيارة " شبتاى " الحاخام البولندى القبالى " نحميا " وقضى معه ثلاثة أيام خرج من قلعته ليعلن للسلطات العثمانية أن " شبتاى " دجال ومزور ومدع وأنه يبث الفتنة ويعمل على إفساد الديانة اليهودية وأنه مدع للنبوة .. وتوافق رأى " نحميا " مع آراء اليهود المحافظين والحاخامات الرسميين الذين هالهم ما رأوه أمامهم من خرق للشريعة اليهودية .. وتحريف لها وتغيير فى ثوابتها .. وما أثار خوفهم ورعبهم ما شاهدوه بأنفسهم من انصياع جموع اليهود لما يقرره لهم " شبتاى " بدون مناقشة .. فحتى عندما ألغى صيام اليوم السابع عشر من شهر يونيو من التقويم اليهودى .. انصاع اليهود له .. وعندما جعل الاحتفال بيوم ميلاده بدلا من صيام التاسع من أغسطس .. ازداد غضب الحاخامات عليه وعلى أتباعه الذين كانوا يبررون له كل تصرفاته ويجدون لها مخرجا يناسبهم ويناسب دعوة شبتاى .

وتقرر أمر " شبتاى " أمام السلطان العثمانى الذى أصدر قرارا بمحاكمته بناء على طلب من حاخامات اليهود .. الذين أعلنوا أن " شبتاى " كاذب ومدع ونقل " شبتاى " من جزيرته إلى قصر السلطنة القديم بمدينة أدرنة للمحاكمة ولم يكن يتقن اللغة التركية فخصصوا له مترجما هو رئيس الأطباء " حياتى زادة مصطفى فوزى أفندى" اليهودى الأصل الذى اعتنق الإسلام ولأهمية المحاكمة التى أثارت انتباه العالم وقتها حضر المحاكمة مصطفى باشا وكيل الصدر الأعظم وشيخ الإسلام منقارى زادة يحيى أفندى وإمام السلطان الواعظ محمد أفندى الوالى وكان السلطان محمد الرابع يراقب المحاكمة بنفسه من وراء حجاب .. وواجهته هيئة المحاكمة بكل الاتهامات التى وجهت إليه والتى دعمها حاخامات اليهود .

ولم يجد " شبتاى " دفاعا يواجه به سيل الاتهامات التى وجهت إليه .. وحدث فى تلك اللحظات التاريخية الهامة تحول مهم كان بمثابة نقطة فاصلة ولدت فيها جماعة غامضة قادها فيما بعد " شبتاى " من قبره .. فلم يكن أمامه لكى ينجو من الموت المقدر له بعد المحاكمة إلا أن يعتنق الإسلام .. وقيل إن مترجمه اليهودى

الأصل أوحى إليه بالفكرة لكى ينقذ نفسه من حكم الإعدام ويكتسب عند السلطان هيبة ومقاما وحصانة بإعلان إسلامه وأن تراجعه عن فكرته ظاهريا لن يمنعه من توصيلها سرا إلى أتباعه خاصة أن اعتناقه الإسلام أمر يتفق مع كونه الماشيح الذى يحق له أن يظهر غير ما يبطن وأن ادعاءه سيؤكد مكانته لدى أتباعه الذين يؤمنون به إيمانا أعمى .. فى النهاية أعلن " شبتاى " إسلامه .. ووجد السلطان العثمانى فى هذا الإعلان حلاً لأزمة تتجول داخل إمبراطوريته .. وعفا عنه وأطلق سراحه وخصص له مائة وخمسين " أقجة " فضية وهى عملة عثمانية وغير " شبتاى " اسمه ليتناسب مع هويته الجديدة وسمى نفسه " محمد عزيز أفندى " واغتسل ونطق بالشهادتين ولبس الجبة والعمامة وتعلم اللغة العربية والتركية وتبعه الكثير من أتباعه ومن ضمنهم زوجته.

ولم يتخل " شبتاى " عن عقيدته التى ابتدعها وقرر أن يمارس دوره من خلف ستار شخصيته الإسلامية الجديدة فبعد دخوله الإسلام بتسعة أيام فقط كتب رسالة لأحد دعاته قال فيها " الآن الحقونى بنسل إسماعيل ، ومع ذلك فأنا أخوكم " محمد " وكان كلما التقى أتباعه أنكر الإسلام وبين لهم أنه مجرد ستار يحتمى به ويختفى خلفه.. وعندما يجلس مع الأتراك يسخر أمامهم من اليهود ومن أيام غفلته، وطبق "شبتاى " مقولة أن الماشيح سيكون خيرا من داخله .. شريرا من خارجه ليستمر فى قيادة أتباعه وهو ما شعر به الأتراك بعد سنوات من وجوده بينهم فقاموا بنفيه وتحديد إقامته فى قرية " الباسان " بألبانيا وعاش عدة سنوات لا يستطيع اليهود الاقتراب منه وكان يتواصل معهم عن طريق الرسائل مما جعله يزداد غموضا وقداسة لديهم حتى اجتاحت الكوليرا القرية التى كان يعيش فيها وأصابت شبتاى فمات متأثرا بها فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٦٧٥ ودفن فى مقابر المسلمين الأتراك.

ولم تنته أسطورة شبتاى بموته ودفنه فى مقابر المسلمين .. بل خلف وراءه جماعة هائلة عرفها الأتراك باسم يهود " الدونمة " وهى كلمة مشتقة من فعل دونمك باللغة التركية ويعنى رجع وعاد أو بمعنى آخر «المرتدون عن دينهم» وهو ما شاع عن أتباع شبتاى الذين دخلوا الإسلام من بعده واستقروا فى سالونيك متشبهين بتسفى مؤمنين

بأن إسلامه و إسلامهم ما هو إلا تنفيذ للأوامر الإلهية التى توجههم ليختفوا خلف الإسلام ويحافظوا على عقيدتهم وديانتهم اليهودية فى الخفاء وإيمانهم بألوهية شبتاى الماشيح الذى أوقف العمل بالشريعة اليهودية وأصبح كتابهم المقدس هو " توراة التجليات " وهى التوراة بتفسير شبتاى الذى رغم وفاته فعليا وبالجسد إلا أن روحه لدى أتباعه تنقلت عدة مرات وحلت فى عدة أجساد لتستمر تعليماته وكلماته التى لم ينهها موته فسرعان ما ادعت زوجته أن روح تسفى حلت داخل جسد يعقوب شقيقها وأنه تجسد فيه وهو الأمر الذى ألزم أتباعه بالسير خلفه وأكد يعقوب إسلامه بأن قام بأداء فريضة الحج وكلل " الدونمة " كان له اسم مسلم تركى وآخر عبرى يعرف به بين أتباعه .. وحرص كلل الدونمة على دراسة توراة تشفى .. كما كانوا يحتفلون بالأعياد اليهودية داخل معابد سرية وبعيدة من أعين المسلمين والمسيحيين وأطلقوا عليها اسم " القهال " وكانوا يختارون لها مكانا داخل أحد منازل أبناء طائفتهم ويحرصون على سرية المكان ويحرصون على الاحتفال بأقدس أعيادهم على الإطلاق يوم مولد شبتاى.

وعندما أعلن يعقوب عن دعوته انضم إليه عدة مئات من " الدونمة " كانوا يعرفون ويميزون عن غيرهم بهيئتهم التى ابتكرها لهم يعقوب فبدأ بحلاقة شعر رأسه تماما وأطال لحيته فسار خلفه أتباعه وأصبح لهم هيئة تميزهم عن باقى أبناء طائفتهم فالرجال جميعا حليقو الرؤوس يطلقون لحاهم الطويلة ويحرصون على ارتداء الطربوش وبعد موت يعقوب ظهر " باروخينا روس" ليعلن أن روح " شبتاى " قد حلت فى جسده وكان اسمه المسلم " مصطفى شلبى " وسعى باروخيا جاهدا لنشر أفكار وتعليمات " شبتاى " بصفته حاملا لروحه وعقيدته وتفرغ لتدريس توراة التجليات وكان يطالب أتباعه ويؤكد عليهم بإيقاف العمل بالستة والثلاثين حظرا التى وردت فى التوراة وكان يحلل الزيجات التى حرمتها الشريعة اليهودية وغيرها من النواهى والأوامر التى نصت عليها التوراة فالزنى لديهم غير محرم .. وتناول الأطعمة والمشروبات التى حرمتها التوراة أصبح أمرا نافذا من باروخيا بتناولها، إلى جانب كل التغاضى عن كل طقوس تناول الطعام التى تنص عليها الشريعة اليهودية .

زاد أتباع باروخيا وانضم إليه كثيرون وبعد وفاته أصبحت جماعته تعرف باسم

"كاركاشلر" بالتركية .

وانتقلت روح " شبتاى " مرة أخرى لتسكن جسد يعقوب فرانك المولود عام ١٧٢٦ فى إقليم " بودوليا " فى الجنوب الغربى من روسيا .. ولد لرجل عمل تاجرا ومقاولا بسيطا ودرس فى مدرسة دينية ولم يكمل تعليمه .. وحاول أن يحترف العمل بالتجارة .. فعمل فى تجارة الملابس والأحجار الكريمة وتنقل بين عدة مدن وعرف " الدونمة " وافتتن بأفكارهم واختلط بأتباع باروخيا .. واستحوذت عليه فكرة انتقال الأرواح حتى أنه بعد وفاة باروخيا أعلن أن روح المسيح سكنت النبى داود عليه السلام ثم انتقلت منه إلى النبى إلياهو ثم حلت فى عيسى بن مريم عليه السلام ومنه انتقلت إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحلت بعد ذلك فى " شبتاى تسفى " وتلاميذه المقربين من بعده حتى وصلت إلى " باروخيا " ومنه انتقلت إليه هو وأصبح اسمه " سانتو سنيور " أى السيد المقدس وأعلن إيقاف العمل بالتوراة والتلمود وأن من يتبعهما ويدرسهما فهو كافر وأن على الجميع التحلل من كل القيود الشرعية القديمة وأطلق لنفسه ولأتباعه استباحة كل العلاقات الجنسية التى رأى فى ممارستها بلا قيود أو شروط إحدى علاماته كماشيح لابد أن يحرر أتباعه من قيودهم حتى يستعدوا للخلاص على يديه .. وحاربت أفكاره الأديان السماوية الثلاث فأسلم ثم تنصر هو وأتباعه بعد أن أعلنت الكنيسة الكاثوليكية الحرب عليه وعلى أتباعه .. وتم دخولهم إلى المسيحية فى حفل جماعى ضمه مع ألف من أتباعه .

ومع ذلك لم يطمئن إليهم أحد .. فقد كان ككل من سبقوه من المدعين يظهر غير ما يبطن وهو الأمر الذى ذاع وعرف عنه أنه تنصر كى ينجو وأتباعه من العقاب ولكى يجد لنفسه واجهة يتستر خلفها ليمارس طقوسه الشاذة وعقيدته المنحرفة فقبض عليه وقدم للمحاكمة وحكم عليه بالسجن ومات فيه عام ١٧٩١ ودفن فى المقابر المسيحية بمدينة أوفنباخ . ودفن جسد يعقوب فرانك لتظل روح " شبتاى تسفى " تتنقل فى أجساد أتباعه حتى حلت فى أحد الأيام البعيدة فى جسد هيرتزل صهيون .. الذى نادى بالخلاص وعمل على جمع اليهود للزحف على مملكة صهيون .